حياة القلوب

وسبل الوقاية من الغفلة

جمع وإعداد

أ. هيفاء بنت عبدالله الرشيد

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

إن ديننا الإسلامي أولى الإنسان أهمية عظمى، وجعل قلبه أساسه، وعلق صلاح جسده بصلاح قلبه، ولما كان في الجسد مضغة والتي هي القلب، وإذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله كما في الحديث الشريف، كان القلب موضع نظر الرب جَلَّجَلَالُهُ، عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**»[1]. فالقلب إذن هو موضع نظر الرب، ومن هنا كان لابد على العبد أن يشتغل بإصلاح قلبه، وتنقيته من الشوائب والأمراض، وتخليصه من الآفات التي قد تعتريه، فإذا نظرنا عن سبب تفشي الخيانة بين الناس في الأموال، والنكاح، نجد أن ذلك نتيجة لفساد القلب، وإذا نظرنا عن السبب في حصول السرقات والاختلاسات، والغش والخديعة في المعاملات نجد أن ذلك نتيجة لفساد القلب، وإذا نظرنا عن السبب في حصول القطيعة والتناحر بين الناس، نجد أن ذلك نتيجة

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٦٤).

لفساد القلب، وإذا نظرنا عن السبب في انتشار العقوق وعدم القيام بحقوقهما، كان ذلك أن ذلك بسبب فساد القلب، وكذلك انتشار الغيبة والنميمة والحسد والغل بين الأهل والأصحاب، بسبب فساد القلب، والتناحر والتباعد بين الجيران وغيرها من أمراض المجتمع؛ كل ذلك نتيجة لفساد القلب.

القلب عضو كسائر الأعضاء، القلب يمرض، يغفل، يموت، قد تكون فقد تكون القلوب سليمة كالبدن، وقد تكون مريضة تصاب بالوهن، لذلك على الإنسان أن يتفقد ويتعاهد قلبه كما يتعاهد بدنه بل أكثر.

فللقلب أهمية كبيرة، ولأهميته فقد نسب الله له في القرآن الكريم أشرفُ الأعمال، وخُصَّ بأمور ليس لغيره من الأعضاء، فالحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَصَّه بوظيفة التعقُّل والتفقُّه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [ج:٤٦]، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩]، وأنزل القرآن على القلب: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ*عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤]، ونُسِبَ إليه الإيمان والهداية: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١]، وأخبر جَلَّ جَلَالُهُ عن مسؤولية القلب كسائر الأعضاء، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

فالإنسان كما أنه مسؤول عن سمعه، وعن بصره، هو مسؤول عن قلبه أيضاً، فالسمع يسمع الشر، والخير، والبصر كذلك، والقلب كذلك يعقل الشر والخير، فالواجب على كل مكلف أن يصون سمعه وبصره عما حرم الله، وقلبه كذلك، وأن يعمره بتقوى الله، فيخاف الله ويحبه، ويخشاه جل وعلا، ويخلص له في العمل، ويحذر من النفاق والرياء، ومن الحسد والكبر، والغل، ومن الأمن من مكر الله، وغير ذلك من أعمال القلوب السيئة.

وللأسف ومما يندي له الجبين، أن بعض الناس بسبب مرضه –مرض القلب– يعمل ألف حساب وحساب على حفظ سمعه وبصره عن محارم الله إذا كان بحضرة الناس، فلا يحب

أن يراه المخلوقين وهو يعصي الله تعالى، فيكف عن الحرام أمام الناس، بينما في خلواته أطلق العنان لبصره وسمعه في محارم الله، وما ذلك إلى بسبب مرضٍ في قلبه والعياذ بالله، والله يقول لهؤلاء: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء:١٠٨].

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا**»(١).

حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علينا جميعاً أن نحفظه حفظًا جيدًا، ونجعله نصب أعيننا، فإذا كان ثوبان رضي الله عنه صاحبُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يخاف أن يكون منهم، ويقول: "صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ"، فماذا عسانا أن نقول نحن! والتقصير قد ملأ حياتنا، والغفلة قد غلفت قلوبنا! والشهوات قد أحاطت بنا من كل جانب؟

فكثير من الناس إذا اختلى بنفسه، لم يراقب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولم يَسْتَحِ منه، فيقع في المحرَّمات، لماذا؟ لأن قلوبهم مريضة، ليس في قلوبهم من التقوى ومراقبة الله عَزَّ وَجَلَّ ما يكفي لكفِّ أنفسهم عن الحرام بينهم وبين الله، فعاقبهم الله من جنس عملهم، بأن تأكل سيئاتهم حسناتهم، وتصبح حسناتهم هباءً منثورًا أمامهم يوم القيامة، وتأملوا في الحديث السابق كيف يريهم الله حسناتهم كالجبال، ثم جعلها أمامهم هباءً منثورًا ليزيدهم حسرة.

فالواجب على الجميع أن يحذروا من ذنوب الخلوات، وفضلاً عن المهانة التي يجدها صاحبها يوم الحسرات، فإن ذنوب الخلوات سبب لسوء الخاتمة والعياذ بالله.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٤٢٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٠٢٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً أهمية أعمال القلوب: "**وإنما هي الأصل المراد المقصود، وأعمال الجوارح تبع ومكملة ومتممة، وأن النية بمنزلة الروح والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء الذي إذا فارق الروح فموات، وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية فحركة عابث، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح، إذ هي أصلها وأحكام الجوارح متفرعة عليها**"(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**فواجبات القلوب أشد وجوباً من واجبات الأبدان، وآكد منها، وكأنها ليست من واجبات الدين عند كثير من الناس، بل هي من باب الفضائل والمستحبات، فتراه يتحرج من ترك فرض أو من ترك واجب من واجبات البدن، وقد ترك ما هو أهم من واجبات القلوب وأفرضها، ويتحرج من فعل أدنى المحرمات وقد ارتكب من محرمات القلوب ما هو أشد تحريماً وأعظم إثماً**"(٢).

---

(١) بدائع الفوائد (١٨٨/٣).

(٢) إغاثة اللهفان (١٨٠/٢).

أولاً: أهمية الحديث عن القلوب

الحديث عن القلب له أهمية خاصة، وذلك لعدة أمور:

أولاً: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر بتطهير القلب، وتنقيته، وتزكيته، بل جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غايات الرسالة المحمدية تزكية الناس، وقدمها على تعليمهم الكتاب والحكمة لأهميتها، يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]: "**جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب ها هنا: القلب**"(١).

ثانيًا: أثر هذا القلب في حياة الإنسان، فهو الموجه والمخطط، والأعضاء والجوارح تنفذ. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود، الذي تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يَعقِدُهُ من العزم أو يَحِلُّهُ**"(٢).

القلب هو الأساس، هو المحرك والمخطط لسائر الأعضاء.

ثالثًا: ومن الأسباب المهمة للحديث عن هذا الموضوع غفلة كثير من الناس عن قلوبهم، اهتم الكثير من الناس بظواهرهم من لبس أجمل اللباس، والاعتناء بأطيب أنواع الطعام والشراب، لأجل العناية بصحة الأبدان وجمال الأبدان وأهملوا الأساس، الذي هو القلب، غفلوا عن قلوبهم التي هي موضع نظر الرب، ونسوا أو متناسين ماذا أخبرهم رسولهم عليه

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٥٢/١).
(٢) المصدر السابق (٥/١).

الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**»[١].

رابعًا: أن كثيرًا من الناس جعلوا أكثر همهم تفسير مقاصد الناس، وتحميل تصرفاتهم ما لا تحتمل، فكثير من المشكلات بين الناس، تحدث بسبب سوء الظن والتي هي من أمراض القلوب، فهذه المشكلات تترجم أحوال قلوب أصحابها المريضة، فكم من علاقة قُطعت بسبب سوء الظن، فكم من علاقة زوجية انهدمت بسبب سوء الظن؟!

المسلم يحسن الظن بالناس، ويختلق لهم الأعذار، قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "**لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مُسْلِمٍ يَسْمَعُ مِنْ أَخِيهِ كَلِمَةً يَظُنُّ بِهَا سُوءًا وَهُوَ يَجِدُ لَهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ مَخْرَجًا**"[٢].

خامسًا: إن سلامة القلب سبب لسعادة صاحبه في الدنيا والآخرة، فسلامة القلب من الغل والحسد والبغضاء وسائر العلل والأمراض؛ سبب للسعادة والطمأنينة في الدنيا والآخرة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]. صاحب القلب السليم ينام مرتاح البال، مطمئنه نفسه، أما القلب المريض قلق، بالكاد ينام، بسبب ما يفكر به من الانتقام، وتقتله الغيرة ويأكل قلبه الحسد والعياذ بالله كما تأكل سيئاته حسناته.

سادسًا: تظهر أهمية الحديث عن هذا الموضوع لما أعطي الله لهذا القلب من مكانة عظيمة في الدنيا والآخرة، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٦٤).
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٤٧).

فوالله أن العمى الحقيقي هو عمى القلوب لا عمى الأبصار، لأن عمى الأبصار لا يضر بالإنسان، أما عمى البصيرة -بصيرة القلب- فسبب لهلاك الإنسان في دينه ودنياه، الُمبصر بقلبه هو الناجي يوم القيامة، وهو من تبشره الملائكة وتقول لهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠]، وذلك لما منَّ الله عليه بالبصيرة والفقه في الدين والاستقامة على دينه، ونسأل الله جميعا البصيرة والاستقامة على الدين حتى نلقاه.

سابعًا: أن أعمال القلوب من: خوف ورجاء ومحبة وتوكل وخشية وغيرها؛ هي أعظم أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وبتخلفها يتخلف الإيمان.

ثانياً: أقسام القلوب

ينقسم القلب إلى ثلاثة أقسام[١]:

القسم الأول: القلب الصحيح، وهو القلب السليم، الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى اللهَ به، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

ومعنى القلب السليم: هو السالم من كل شهوة أو شبهة تخالف أمر الله ونهيه، القلب السليم هو الذى سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك، هو الذي أخلص العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: إرادةً، ومحبةً، وتوكلاً، وإنابةً، وإخباتاً، وخشيةً، ورجاءً. وأخلص عمله لله، فإن أحب أَحَبَّ في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله.

القسم الثاني: القلب الميت: فهو الذي لا يعرف ربه، ولا يمتثل لأمره، هو الذي يقدم شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، القلب الميت هو المتعبد لغير الله: حباً، وخوفاً، ورجاءً، ورضاً، وسخطاً، وتعظيماً، وذلاً، إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه.

القسم الثالث: القلب المريض، وهو قلب فيه حياة وفيه علة، ففيه من محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والإيمان به والإخلاص له، والتوكل عليه وغير ذلك، لكن فيه أيضاً من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، قد يكون فيه مرض الحسد والكبر والعجب؛ وحب العلو وحب الشهرة، والتجرأ على محارم الله، فصاحب القلب المريض ضعيف الإيمان، غافل، يحب الله لكنه يؤثر هواه عن مراضي الله في بعض الجوانب وبعض الأحيان.

فالقلب الأول: حي، مخبت، لين. والثاني: يابس، ميت. والثالث: مريض، عليل، والناس يتفاوتون بين ذلك، فإما إلى السلامة أقرب، وإما إلى المرض أقرب والعياذ بالله.

---

(١) من كتاب إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/٧)، بتصرف.

وقد جمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين هذه القلوب الثلاثة في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٢-٥٤].

فجعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ القلوب في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلباً ناجياً، فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض، والقلب القاسي، والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه، وهو المطمئن إليه الخاضع له، المستسلم المنقاد له جلَّ في علاه.

ثالثاً: أسباب حياة القلوب

لابد أن نعلم أن الطاعات غذاء، هي غذاء قلب العبد، كما أن الطعام والشراب غذاء الجسد، فالطاعات غذاء القلب، فالمعاصي بمثابة الأطعمة المسمومة التي تفسد القلب، وكما أن العبد يأخذ بالأسباب لاستمرار حياة جسده بالحرص على الغذاء النافع؛ فإنَّ حياة القلب أولى بالاهتمام من الجسد، نعم؛ صحيح أن حياة الجسد تضمن للإنسان العيش في هذه الدنيا دون أمراض منغصة عليه حساته، وكذلك حياة القلب تضمن له الحياة الطيبة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة وهي الأهم.

فإذن؛ الطاعات كلها سبب لحياة القلب، ومن أهم هذه الطاعات:

١. ذكر الله وتلاوة القرآن:

ذكر الله له أثر عظيم في قلب الإنسان، وضرورة الذكر للقلب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟"**(١).

وقد ذكر ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فوائد كثيرة للذكر في كتابه "الوابل الصيب"(٢)، منها:

أنه يرضي الرحمن عَزَّوَجَلَّ، **وأنه** يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، **وأنه** يزيل الهم والغم عن القلب، **وأنه** يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط، **وأنه** يقوي القلب والبدن، **وأنه** ينور الوجه والقلب، **وأنه** يجلب الرزق، **وأنه** يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة، **وأنه** يورثه الهيبة لربه عَزَّوَجَلَّ وإجلاله، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه، **وأنه** يورث حياة القلب، **وأنه** يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات، **وأنه** يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فإن الغافل بينه وبين الله

---

(١) الوابل الصيب (صـ٤٢).

(٢) انظر: (صـ٤١).

عَزَّوَجَلَّ وحشة لا تزول إلا بالذكر، **وأن** العبد إذا تعرف إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذكره في الرخاء عرفه في الشده، **وأنه** ينجي من عذاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **وأنه** سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل، وغيرها وتراجع لأهميتها في كتاب الوابل الصيب لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وبالرغم من أن الذكر من أيسر العبادات، فإنَّ الفضل الذي رُتِّبَ عليه لم يُرَتَّبْ على غيره من الأعمال، فأنفع شيء لقلب العبد ذكر الله، ففيه طمأنينته: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]. وفيه حياته، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**»[1]، فالغافل كالميت، والذاكر كالحي.

وأفضل الذكر تلاوة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

أهل القرآن هم خير الناس، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[2]. فمن قال عنهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ خير الناس لا شك أن قلوبهم حية وكيف لا تحي بتلاوة كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**»[3].

وكيف لا تحي قلوب أهل القرآن أيضاً وهم أهل الله وخاصته؟

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٠٧).
(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٢٧).
(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ**»[1].

٢. الاستغفار:

وهو طلب المغفرة، والمغفرة: هي الوقاية من شر الذنوب مع ستر الله لها، وقد كثر ذكر الاستغفار في القرآن، فتارة يؤمر به كقوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل:٢٠].

وتارة يمدح أهله كقوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧].

وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره كقوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠].

والمستغفر يُغفر له كما وعده ربه، ولاسيما إذا صدر عن قلب منكسر بالذنوب، أو صادف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وإدبار الصلوات.

والمسلم يكثر من الاستغفار في ليله ونهاره أسوة برسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ الذي كان يُعَدُّ له في المجلس الواحد سبعين أو مئة مرة، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»، مِائَةَ مَرَّةٍ[2].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: كَانَ تُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فِي المجْلِسِ الوَاحِدِ مِائَةُ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ**»[3].

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٢١٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١٤٣٢).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٣٨١٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٦١٨).

(٣) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٤٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٤٨٦).

وَعَـن أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قـال: سَمِعْـتُ رَسُـولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ يَقُـولُ: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(١).

وذلك في المجلس الواحد وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر والله المستعان، ولماذا لا نكثر نحن من الاستغفار مع كثرة ذنوبنا وإسرافنا على أنفسنا؟!

فالاستغفار من الطاعات التي تحي القلوب، فينبغي الاكثار منه لما له من الفوائد الكثيرة، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ: «**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**»(٢).

وبيّن الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي ثلاثة أسباب من أعظم أسباب المغفرة، عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(٣).

وبالجملة فدواء الذنوب الاستغفار، وحياة القلوب بالتوبة من الذنوب؛ لأن الذنوب تميت القلوب.

٣. الدعاء:

قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، فأمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء ووعدنا بالإجابة، ثم عقب بقوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٠٧).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٣٨١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٩٣٠).

(٣) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٥٤٠)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٣٣٨).

فسبحان الله العظيم، ذي الكرم والجود والعطاء والمنّة، جعل سؤال عبده لحوائجه عبادة له، ووعده بإجابته، ولأهمية الدعاء؛ ذم سبحانه من ترك سؤاله بأبلغ أنواع الذم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»(١).

وقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]. فالله أخبر عن نفسه بأنه قريب لمن دعاه، قريب مجيب، ومن أهم الأدعية: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، و«**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، و ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

وكان من دعاء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا**»، «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَع**»، وغيرها من الأدعية.

فيكثر الإنسان من الدعاء بصلاح قلبه وأن يعيذه من فساده؛ لأن القلب هو الأساس، هو الأصل، ولن يكون يستقيم ويصلح حال الإنسان وباله إلا إذا استقام قلبه، كما أخبر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ**»(٢).

٤ . الصلاة على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ:

قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

معنى صلاة الله على العباد: صلاة الله على العبد ثناء الله عليه عند الملائكة ورحمته إياه برحمته بتوفيقه في الدنيا أو إدخاله الجنة في الآخرة(٣).

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٣٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٤١٨).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٠/٣٤٣) برقم (١٣٠٤٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٥٥٤).

(٣) ابن باز رحمه الله، https://cutt.us/UiVCC

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، يخرجه من ظلمات الشرك إلى نور الطاعة، من ظلمات البدعة إلى نور السنة، من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا**»[١].

أي عشر صلوات، يثني الله عشر مرات على من صلى على نبيه مرة واحدة!، وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها، والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من أعظم الحسنات.

٥. قيام الليل:

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٧-١٨]. وهي في وصف المحسنين.

قَالَ ابْنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "**لم تكن تَمْضِي عَلَيْهِمْ لَيْلَةٌ إِلَّا يَأْخُذُونَ مِنْهَا وَلَوْ شَيْئًا**"[٢].

قال ابن أبي نُجيح رَحِمَهُ اللَّهُ: "**كانوا قليلاً ما ينامون ليلة حتى الصباح**"[٣].

أما أهل الدنيا والمريضة قلوبهم ما ينامون الليل لأنهم منشغلون برؤية الأفلام والمسلسلات، منشغلون بالسمر والسهر على الأغاني والحفلات.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان:٦٤].

وذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه العبادة الجليلة ثم عقبها بالجزاء فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٤٠٨).
(٢) تفسير ابن كثير (٧/٤١٧).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/٤٠٨).

ثم عقب بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، لما أخفوا العمل أخفى الله عَزَّوَجَلَّ لهم الأجر.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ -وَهِيَ الَّتِي يَدْعُو النَّاسُ الْعَتَمَةَ- إِلَى الْفَجْرِ، إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ**»(١).

أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، إذا صعب عليك القيام بإحدى عشر ركعة فصلِ سبعة، خمسة، ثلاثة، فالعمل القليل المستمر أفضل من الكثير المنقطع.

عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ المؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قُلْتُ: يَا أُمَّ المؤْمِنِينَ، كَيْفَ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الأَيَّامِ؟ قَالَتْ: «**لاَ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَطِيعُ**»(٢).

لا شك عبادة قيام الليل خفيفة على البعض وثقيلة على البعض، خفيفة على أهل الإيمان وثقيلة على أهل المعاصي، خفيفة على أهل الآخرة وثقيلة على أهل الدنيا، عندما سأل أحدهم عن عدم قدرته على قيام الليل قال له كبلتك معاصيك. حط الأثر اظنه للحسن.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٧٣٦).

(٢) متفق عليه.

رابعاً: علامات صحة القلب وسلامته

من علامات صحة القلب:

١. **كثرةُ الذكرِ**؛ لأن من أحبَّ شيئًا، أكثَرَ من ذكره، من أحبَّ المال، أكثر من ذِكرِه، ومَنْ أحبَّ العقار، أكثرَ من ذِكره، ومَنْ أحبَّ التجارة، أكثر من ذِكرها، ومَنْ أحَبَّ الطعام، أكثر من ذِكره، ومَنْ أحَبَّ اللهَ أكثر من ذِكْره.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ**»؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «**ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى**»(١).

لأن الذاكرين هم السابقون، هم الفائزون؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «**سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ**»(٢).

٢. **القلق والوحشة أو الغربة ممَّا سوى الله**، فلا يزالُ صاحب هذا القلب مستوحِشًا قَلِقًا حتى يصِلَ بقلبه إلى الله، ويأنس به، ويطْمئنُّ إليه، فلا يرى لذَّةً إلَّا بطاعته، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»(٣)، ولا يرى نعيمًا ولا سرورًا إلَّا في مَرْضاته، فتراه يتلذَّذ بالصلاة والصيام، والصَّدَقة والقيام، يتلذذ بقراءة القرآن وصلة الأرحام، ولا ترتاحُ نفسُه، ولا يطمئنُّ قلبُه إلَّا بذِكْر ربِّه ومحبوبه ومعبوده: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٢٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٦).

(٣) رواه النسائي في سننه برقم (٣٩٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣١٢٤).

قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، ولا يرضى إلَّا بالله ربًّا، وبدينه شرْعًا، وبرسوله قُدوة، لأن قلبه حي، سليم من التعلق بالدنيا، هو يذوق طعم الإيمان ويستلذ به، كما يذوق الناس طعم الطعام والشراب، فإن الإيمان له طعم لا يذوقه إلا أهل الإيمان، له لذه لا يذوقها إلا أهل الإيمان، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**»[1].

٣.**من علامات صاحب القلب السليم أنه يتعب جسده في الطاعة،** ولا يملَّ ولا يكلَّ، من طاعة إلى طاعة، يتنقل بين العبادات كما تتنقل النحلة بين رحيق الأزهار؛ ولذلك ثبت أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يُقيمُ الليل حتى تتورَّم قدماهُ، فتقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فيقول: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[2].

٤. **المحافظة على الأوقات؛** لأن صاحب القلب السليم يعلمُ أن وقته هو رأسُ ماله، فهو يعلم أن من استخدم وقته في الطاعات كان من الصالحين، ومن الفائزين، وإنْ أضاعه في المعاصي كان من الخاسرين.

يحفظ وقته من الضياع كما يحافظ أهل الدنيا على أموالهم من الضياع، لا يضيع من وقته ساعة إلى وفيها غنيمة، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ**»[3]، الله أكبر؛ كم نخلةٍ خسِرها مَنْ أضاع أوقاته! وكم من حسنة هو محتاجها يوم توزن أعماله، فيتحسر حينها لإضاعة عمره ووقته فيما لا ينفعه!

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٣٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٢٠).

(٣) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٤٦٤)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٢٣٠٤).

٥. صحب القلب السليم يحرص ويهتم بإخلاص العمل لله؛ يتعاهد قلبه، يحميه من الأدران والأمراض كما يحمي أهل الدنيا أجسادهم، لأنه يعلم أن العمل إذا تسرَّب إليه حُبُّ الشهرة أو حبُّ السمعة أو الرياء حبِط، فيحرص على الإخلاص ليلا ونهارا في كل أعماله، لأنه يعلم أنه يُقبَلُ عمله إذا كان خالصًا لله، والإخلاصُ: أن تعمل العمل لا تُريدُ به إلَّا وجهَ الله.

٦. أن يتحسَّر لفوات طاعةٍ؛ لأنه يعلم أن الطاعة الواحدة أعظمُ من الدنيا بأسرها؛ لأن الدنيا زائلةٌ، أمَّا ما عند الله فلا يزول ولا يفنى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦]، فصاحبُ القلب السليم يتألم إذا ضاعت منه صلاةُ الجماعة أشدَّ من ألمِ هذا التاجر على صفقة تجارية، صاحب القلب السليم يغضب فاته درس يُذكر فيه الله، صاحب القلب السليم يبكي إذا لم يقرأ ورده.

٧. أن يُصبح ويُمسي وهمُّه الآخرة؛ لأن الآخِرة قد سيطرت على قلبه، ويضعها نُصب عينيه، فهو يفكر كيف يُرضي ربَّه؟ يفكِّرُ ماذا سيصنع في قبره؟ وكيف سيكون حالُه في حشره ونشره؟ ومن كان هذا حاله أتته الدنيا وهي راغمة، ويكفيه الله ما أهمه في الدنيا، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»**(١).

ومن كانت الآخرة همه، وأطاع ربه، واتقاه، رزقه من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٤٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٥١٠).

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملةً من علامات صحة القلب، منها[١]:

١. ومن علامات صحة القلب أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب إلى الله ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه، الذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به. فبه يطمئن، وإليه يسكن، وإليه يأوي، وبه يفرح، وعليه يتوكل، وبه يثق، وإياه يرجو، وله يخاف.

٢. أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدله عليه، ويذكره به، ويذاكره بهذا الأمر.

٣. أنه إذا فاته وِرْدُه وجد لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.

٤. أنه يشتاق إلى الخدمة، كما يشتاق الجائع إلى الطعام والشرب.

٥. أن يكون همه واحداً، وأن يكون في الله.

٦. أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته ونعيمه، وقرة عينه وسرور قلبه.

٧. أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعاً من أشد الناس شحا بماله.

٨. أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه وتقصيره في حق الله.

ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وبالجملة فالقلب الصحيح: هو الذي همه كله في الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابه، والخلوة به آثر عنده من الخلطة إلا حيث تكون الخلطة أحب إليه وأرضى له، قرة عينه به، وطمأنينته وسكونه**

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/٧١).

إليه، **فهو كلما وجد من نفسه التفاتاً إلى غيره تلا عليها:** ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ "[١].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/٧٣).

خامساً: علامات مرض القلب

من علامات مرض القلب:

١. أنه يُؤْثِر ملذَّاتِه على طاعة الله ومرْضاته، فكلَّما هوى شيئًا فعلَه.، لا يبالي بفعل ما يغضب الله ويسخطه،

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ومرض القلب: أن يتعذر عليه ما خلق له من المعرفة بالله ومحبته والشوق إلى لقائه، والإنابة إليه ...فمن آثر عليه شيئا من المحبوبات فقلبه مريض"**[(١)].

٢. أن صاحبَه لا تُؤلمه المعاصي، لا يخاف ولا يبالي من شؤم المعصية، قال عَبْدُاللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ**»[(٢)]، فهو يرى كبائِرَ الذُّنوب سهلة، فكأنَّها ذُبابٌ مرَّ على أنفه فهشه بيده، فطار الذباب، ولم يؤثر فيه الذباب لخفته، وما ذاك والله إلا لخفة إيمانه بالله سبحان، أما القلب الصحيح يتوجَّعُ بالمعصية، ويتألَّمُ لها، ويرى ذنوبه كالجبل يخاف أن يقع عليه، فيُحدِثُ له ذلك توبةً وإنابةً إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وقد يمرض القلب ويشتد مرضه، ولا يعرف به صاحبه، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح"**[(٣)].

مريض القلب لا يتألم للذنب، ولا يتأثر بالمعصية؛ حتى يتراكم الذنبُ على الذنب فيسود قلبه، بل قد يصل به الأمر إلى المجاهرة بذنوبه والعياذ بالله.

---

(١) المصدر السابق (١/٦٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٠٨).

(٣) المصدر السابق.

هذا لا يعني أن صاحب القلب السليم لا يقع في المعاصي، أو لا تزل به القدم في وحل المعاصي، لكنه أواب، تواب، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥]، ذكروا الله، ذكروا عظمة الله، فخافوا عقابه فاستغفروا وتابوا.

٣. أن صاحبه لا يحزنُ لجهله بالحقِّ، ولا يتألمُ لعدم معرفته بأحكام ربه، ليس من أولوياته طلب العلم أو رفع الجهل عن نفسه، والجهل مصيبةٌ كبرى يتألم لها من في قلبه حياةٌ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامه عن علامات مرض القلب: "**ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه، وتألم بجهله بالحق بحسب حياته**"[١].

٤. استبدال صاحبه بالأغذية النافعة الأغذيةَ الضارَّة المؤذية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**من علامات أمراض القلوب عدولها عن الأغذية النافعة الموافقة لها إلى الأغذية الضارة، وعدولها عن دوائها النافع إلى دوائها الضار، فهنا أربعة أمور: غذاء نافع، ودواء شاف، وغذاء ضار، ودواء مهلك. فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك**"[٢].

فيستبدل سماع القرآن الذي هو ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [يونس:٥٧]، إلى سماع الغناء الذي يمرضُ القلب، ويبعدُه عن الربِّ جَلَّ جَلَالُهُ.

ويَستبدل تحريك اللسان بالذِّكر الذي به حياة القلب، ونور البصر، وجلاء الصَّدر، ومغفرة الذنب، إلى تحريك اللسان بالغيبة التي بها فسادُ النفس، وقسوة القلب.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق (١/٧٠).

ويستبدل بالنظر في ملكوت السماوات والأرض والتفكُّر في عظمة الله الذي به يقوى الإيمان بالنظر إلى المسلسلات الماجنة، والأفلام الخالعة الذي بها يضعُفُ الإيمان.

٥. من علامات القلب المريض أن صاحبه لا يشعر بالغربة في دنياه، لأنه رضي بالدنيا واطمأنَّ بها لها، ولا يرجو الآخرة، ولا يسعى لها سعيها: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء:١٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها، حتى يصير من أهلها**"[(١)].

أما صاحب القلب الصحيح: فهو لا يرضى بالآخرة بدلاً، فهو وإن كان بظاهره من أهل الدنيا، فهو بقلبه من أهل الآخرة، ويشعر في الدنيا بغُربة لأنه يعلم أنها ليس بدار قرار، ويحن لوطنه في دار القرار، مشتغلٌ بتحصيل الزاد لها، هو يعد نفسه في سفر، عاملاً بوصية النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت في البخاري: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»[(٢)].

---

(١) المصدر السابق (٧١/١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤١٦).

سادساً: علاج أمراض القلوب

١. **كمال محبة الله:** بأن يكون حبه لله، وفي الله، وأن يكون بغضه ومعاداته لله، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن من أعظم وسائل علاج القلب: أن يمتلئ قلب الإنسان بحب الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]. وأما وسائل محبة الله فكثيرة، منها: قراءة القرآن وتدبره وفهم معانيه، والتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، ودوام ذكر الله على كل حال، وإيثار محاب الله على هوى محاب نفسه.

٢. **الإخلاص:** يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]. أخلصوا لله عَزَّوَجَلَّ في أعمالكم، وستجدون راحة في صدوركم، ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة:٥].

٣. **حسن المتابعة:** بأن يكون عمله واعتقاده وفق ما أمر الله ورسوله، يقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، ويقول تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

٤. **ذكر الله:** فإنه يجلو صدأ القلوب، ويذهب ما ران عليها من آثام القلوب، ويزيد من قرب الإنسان لربه.

٥. **التوبة للخالق** عَزَّوَجَلَّ مما يعتري القلب من أمراض، توبة نصوحة بالإقلاع عن كل ما يغضب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ففي التوبة صلاح للنفس وللقلب.

٦. **المراقبة والمحاسبة:** ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنها من أهم العوامل لعلاج القلب واستقامته، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وهلاك القلب من إهمال محاسبتها، ومن موافقتها، واتباع هواها"**[1].

٧. **كثرة الصدقة:** ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]. فللصدقة فوائد لا تعد، فهي تمحو الخطايا والذنوب، وتقرب إلى رب العطاء والجود، وتسقي القلب وتغفر الذنب، وتزكي النفس، وتطهر القلب، وغيرها من الآثار الجميلة لها.

٨. **غض البصر:** قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡ﴾ [النور:٣٠]. ﴿أَزۡكَىٰ لَهُمۡ﴾ أي خيرا لهم وأطهر لقلوبهم، ومن غض بصره عن المحرم، أنار الله بصيرته، وغض البصر عبادة غفل عنها الكثير في زمن الفتن، فتنة الانترنت نسأل الله أن يعيذنا من الفتن م ظهر منها وما بطن.

٩. **الابتعاد عن مصاحبة السيئين**، الصاحب ساحب، فهؤلاء السيئين يدعون القلب للبعد عن ذكر الله، ويدفعونه للمعصية، ويدفعونه لاتباع سبل الشيطان، فصاحب السوء لا يأتي إلا بالسوء، فينبغي أن يحرص المسلم على مصاحبة الأخيار ممن يتجمعون على محبة الله ويتفرقون على محبته.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٧٨/١).

سابعاً: غفلة القلب ومظاهرها

الغفلة: خلق ذميم، أصيب به كثير من الناس، فانغمسوا في الدنيا، واتبعوا شهواتها الفانية، وتعلقوا بملذاتها الزائلة، ونسُوا ما خُلِقوا من أجله من طاعة وعبادة.

وهي داء عُضال، من ابتلي به وتمكن من قلبه لا تنفعه ذكرى، ولا تفيده موعظة ولا يؤثر في نفسه زجر ولا تخويف، ولا آية ولا حديث والعياذ بالله.

ومن صور الغفلة ومظاهرها:

١. **الغفلة عن آيات الله**: كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس:٩٢].

فمن الناس من هو غافل عن آيات الله، لا يتأمل ولا يتفكر في الآيات الكونية التي تدل على عظمة الله وقدرته ووحدانيته، كمن قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في حقهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف:١٠٥].

ولا يُقبلُ على كتاب الله ليتلوه ويتدبره، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:٧].

٢. **الغفلة عن عبادة الله**: فيكون كل اهتمام الإنسان متعلق بهذه الدنيا الفانية، ويضع كل طاقاته وجهده في العمل لها، وينسى أنه ما خُلق إلا لعبادة الله عَزَّوَجَلَّ، لا هم له إلا أن يركض وراء شهوات الدنيا، غافل عن طاعة خالقه، مضيع للفرائض، مسرف في المعاصي، مكثر من السيئات.

وقد توعّد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من يستكبر عن عبادته ويفرط في طاعته بأشد الوعيد، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون:٤-٧].

٣. الغفلة عن الموت والدار الآخرة: فالغفلة تُنسي العبدَ ربّه وآخِرَته، وتجعله متعلقاً بدنياه، مُعرضا عن آخِرَته، لا يتذكر الموت، ولا يستعد ليوم الحشر، حتى إذا نزل به الموت تمنى العودة، وقال: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا . . .﴾ [ق:١٩-٢٢]، أي: كنت غافلاً عن هذا اليوم مشغولاً عنه بمتاع الدنيا الزائل، لم تتذكره ولم تستعد له: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢]، ها أنت يا غافل الآن ترى الحقيقة التي كنت تتهرب منها، ها أنت الآن ترحل عن الدنيا التي ملأتْ قلبك واستعبدتْ جوارحك.

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ . . .﴾ [الأنبياء:١-٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"هَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى اقْتِرَابِ السَّاعَةِ وَدُنُوِّهَا، وَأَنَّ النَّاسَ فِي غَفْلَةٍ عَنْهَا، أَيْ: لَا يَعْمَلُونَ لَهَا، وَلَا يَسْتَعِدُّونَ مِنْ أَجْلِهَا"**(١).

فهم في غفلة عما خُلِقوا له، وكأنهم للدنيا خلقوا، قلوبهم غافلة معرضة، وأجسادهم لاهية معرضة.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/٣٣١).

ثامناً: مخاطر الغفلة وأضرارها

الغفلة مرض فتَّاك من أمراض القلوب، وقد حذر الله منها، وبيَّن عقاب من وقع فيها، ومما يدل على هذا ما يلي:

أولاً: توقع في الهلاك، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في قوم فرعون: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٣٥-١٣٦]، فأسباب هلاك قوم فرعون كثيرة، ولكن منها سببان: تكذيبهم بآيات الله، وتغافلهم عنها.

ثانياً: من أصيب بالغفلة الكاملة خُتِمَ على قلبه، وسمعه، وبصره، وكان أضل من الحيوانات والأنعام، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩]، فهم لا ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية، فقلوبهم لا يصل إليها فقه ولا علم ولا تنفعهم الذكرى، وأعينهم لا ينتفعون بها فلا يبصرون آيات الله، وآذانهم لا يسمعون بها ما ينفعهم، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١]. نعوذ بالله أن نكون منهم.

ثالثاً: الغفلة قرينة التكذيب بآيات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا

يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦]، فالسبب التكذيب والغفلة، فالغفلة قرينة التكذيب بآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فردهم لآيات الله وغفلتهم عما يُراد بها، واحتقارهم لها، هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشاد ما أوجب"**[١].

رابعاً: لعظم خطر الغفلة نهى الله عنها رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فإنهم حرموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عمن كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على من كل الشقاوة والخيبة في الاشتغال به"**[٢].

خامساً: الغفلة صفة من صفات أهل النار، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس:٧-٨]، فهذه حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة، ولا يرجون في لقائه شيئاً، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها نفوسهم، وهم غافلون عن آيات الله الكونية، فلا يتفكرون فيها، وعن آياته الشرعية فلا يأتمرون بها[٣]. فينبغي الحذر من الغفلة؛

(١) تفسير السعدي (صـ٣٠٢).
(٢) تفسير السعدي (صـ٣١٤).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٤٩).

لأن أكثر الناس وقعوا في الغفلة، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس:٩٢]. اللهم لا تجعلنا من الغافلين.

سادساً: الغفلة تغلق على العبد أبواب الخير، وتفتح له أبواب الشر، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [النحل:١٠٦-١٠٩].

سابعاً: من أعظم خطر الغفلة أن مَن غفل عن الله عاقبه بأن يغفله عن ذكره، ويتبع هواه، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

ثامناً: أهل الغفلة لهم الحسرة يوم الحسرة، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم:٣٩-٤٠].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»**[1].

---

(١) متفق عليه.

تاسعاً: اقتراب الساعة والموت للناس وهم في غفلاتهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ*مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ*لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء:١-٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"هذا تعجب من حالة الناس، وأنه لا ينجع فيهم تذكير، ولا يرعون إلى نذير، وأنهم قد قرب حسابهم، ومجازاتهم على أعمالهم الصالحة والطالحة، والحال أنهم في غفلة معرضون، أي: غفلة عما خلقوا له، وإعراضاً عما زجروا به، كأنهم للدنيا خلقوا، وللتمتع بها ولدوا، وأن الله تعالى لا يزال يجدد لهم التذكير والوعظ، ولا يزالون في غفلتهم وإعراضهم، ولهذا قال:** ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ **يذكرهم ما ينفعهم ويحثهم عليه وما يضرهم، ويرهبهم منه** ﴿إِلا اسْتَمَعُوهُ﴾ **سماعاً، تقوم عليهم به الحجة،** ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ. لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ **أي: قلوبهم غافلة معرضة لاهية بمطالبها الدنيوية، وأبدانهم لاعبة، قد اشتغلوا بتناول الشهوات والعمل بالباطل"**[١].

عاشراً: حذر الله تعالى الناس عن الغفلة، وبين سبحانه خطرها، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ*وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧].

الحادي عشر: ذم الله تعالى الغافلين عن الآخرة، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ*يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:٦-٧].

الثاني عشر: لخطر الغفلة فقد أرسل الله محمداً صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ **لإنذار الناس عن الغفلة**، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ*لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى

---

(١) تفسير السعدي (ص٥١٨).

أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ*إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ*وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ*وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس:٦-١٠].

تاسعاً: علامات الغفلة

الغفلة لها علامات كثيرة وأعراض عديدة، منها ما يأتي:

أولاً: التكاسل عن الطاعات، وهذه العلامة من أهم العلامات، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ [النساء:١٤٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»**(١).

ثانياً: استصغار المحرمات والتهاون بها، قال عَبْدُاللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ»**(٢).

ثالثاً: الاعتياد على المعصية ومحبتها؛ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»**(٣).

رابعاً: تضييع الوقت من غير فائدة؛ فإن الوقت نعمة، ولا يضيعه إلا غافل؛ ولهذا والله أعلم يستقصرون الوقت يوم القيامة، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٠٨).

(٣) متفق عليه.

سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس:٤٥]، وعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**»(١).

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤١٢).

عاشراً: سبل الوقاية من داء الغفلة

أولاً: العلم: وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

العلم نور والجهل ظلام، العلم نور القلب وحياته، ومن عظيم فضل العلم أن صاحبه أكثر قرباً من الله، العلم إرث الأنبياء، لا يعطيه الله إلا لصفوة البشر، العلم ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، فأكثر القلوب رقةً وخشية هم العلماء، ومما يدل على أهمية العلم ومكانته في صلاح القلوب وإزالة غفلتها قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩]، من هم أولو الألباب؟ هم أهل العقول السليمة والفطرة السليمة، والقلب هو مكان العقل، فلا يدرك أهمية العلم إلى صاحب القلب السليم، ولا يحرص على طلبه إلى صاحب القلب السليم.

ولم يأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالازدياد إلا في العلم: قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]. نسأل الله علماً نافعا، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وعملا يا أرحم الراحمين.

ثانياً: ذكر الله تعالى على كل حال، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**»(١).

الذكر من أيسر العبادات، ومع ذلك لا يوفق إليه إلا القليل من الناس، والذكر فضلا على أنه سبب في تثقيل موازين الحسنات يوم القيامة، هو ينجي صاحبه من الهم والغم في الدنيا، هو غذاء للروح والقلب، يجلب الطمأنينة للنفس، الذاكر حي، في جسده وفي قلبه،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٠٧).

قلبه مليء باليقين والرضا، بالعلم والمعرفة، قلبه سليم معافى، أما المحروم منه كالجيفة، قلبه يابس لا حياة فيه، وإن كان هو حي الجسد لكنه ميت في الباطن، فالذكر حياة القلوب، واستقرارها، سبب سعادة الإنسان وراحته، السعادة تنبع من الداخل، ولا يمكن أن تشترى بأموال الدنيا، الغني يمكنه أن يشتري جميع ما يريد لكن لا يستطيع أن يشتري السعادة، يستطيع أن يشتري ما يريد لكنه لا يستطيع أن يشتري راحة البال، يستطيع أن يشتري ما يريد لكنه لا يستطيع يشتري الصحة والعافية والاستقرار والطمأنينة.

ثالثاً: أعظم الذكر وأعظم العلاج للغفلة قراءة القرآن، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤].

شفاء للبدن وشفاء للقلب، هو نور للقلب، والقرآن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ليس المراد بالنور المعروف في الدنيا –الإضاءة– التي في البيوت، إنما النور الذي به يشع القلب، فيرى من خلاله الحق حقاً والباطل باطلا، يرى من خلاله الراحة والسكون، يشفي الله به أمراض القلوب والأبدان، هو ربيع القلب وبهجته، نسأل الله أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا وقلوب ذرياتنا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا شَيْء أَنْفَع للقلب من قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر والتفكر؛ فَإِنَّهُ جَامع لجَمِيع منَازِل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وَهُوَ الَّذِي يُورث الْمحبَّة، والشوق، وَالْخَوْف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، وَالرِّضَا، والتفويض، وَالشُّكْر، وَالصَّبْر، وَسَائِر الأحوال الَّتِي بهَا حَيَاة الْقلب وكماله، وَكَذَلِكَ يزْجر عَن جَمِيع**

الصِّفَات والأفعال المذمومة، وَالَّتِي بهَا فَسَاد الْقلب وهلاكه، فَلَو علم النَّاس مَا فِي قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر لاشتغلوا بهَا عَن كل مَا سواهَا"[1].

إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤها بتلاوة القرآن، فلنحرص جميعا على تلاوته آناء الليل والنهار.

رابعاً: التوبة والاستغفار، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠]، سبحانه من كريم، لما ذكر سبحانه عظائم الذنوب، وتوعد جل جلاله بالوعيد الشديد عليها، عقبها بذكر التوبة منها، لينبه عباده على طريق الرجوع إليه، وأن من تاب منها تاب الله عليه.

بالتوبة والاستغفار؛ تمحى شؤم المعصية، فينصقل القلب ويذهب عنه صدأه، ويحي القلب وتعود إليه الحياة، فيرى الدنيا بمنظور آخر، يفتح الله على التائب أبواب توصله إلى ما فيه خير له في الدنيا والآخرة، التائب من الذنب كمن لا ذنب له، بل تبدل سيئاته حسنات، وفجراته وغدراته يغفرها الله له كما غفر لذلك الشايب، الهرم الذي لم يترك شيء من معاصي الله إلا وفعله، فعَنْ أَبِي طَوِيلٍ شَطَبِ الْمَمْدُودِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «**فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟**» قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**نَعَمْ ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ**»، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى[2].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٨٧).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧/٣١٤)، برقم (٧٢٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٣١٦٤).

الله أكبر الله أكبر وما زال يرددها؛ لأنه قضى عمره بالشهوات حتى انحنى ظهره وهو غارق فيها، ومع ذلك قال له الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ**»، أراد هذا الرجل تأكيد ما سمعه، فقال يا رسول الله، وغدراتي وفجراتي؟ كل ذنوبي، كل الكبائر، كل ما فعلت من الآثام؟ فأجابه: «**نَعَمْ**»، فانصرف فرحاً، مكبراً، مما سمعه من النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

فالله سبحانه غفور، غفار وغافر الذنب، والتوحيد يهدم ما قبله، ولا يترك ذنب إلا ويغفره، التوحيد لا يتعاظمه ذنب، نسأل الله أن يحيينا على التوحيد وأن يميتنا على التوحيد.

خامساً: الدعاء والتضرع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**»، قَالَ: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «**اللَّهُ أَكْثَرُ**»(١).

الدعاء سلاح المؤمن، يقي الله بالدعاء الكثير من المزالق، فينبغي سؤال الله أن يقينا من الفتن التي تعرض على القلوب والسلامة منها، قَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧١٠)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (صـ٢٦٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٤٤).

أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ: شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ، الْكُوزُ مُجَخِّيًا: مَنْكُوسًا.

"فالفتن والشهوات تنسلُّ إلى القلب متتابعةً واحدةً بعد الأخرى كما ينسج الحصير عودًا عودًا، فأمَّا قلب المؤمن العامر بحبِّ الله ورسوله فإنه كالصفا أي: كالحجر الأملس في صلابته وتماسُكه ونقاوته وعدم علوق شيءٍ به، فلا تضرُّه فتنةٌ ولا تستهويه معصيةٌ ولا يرضى بديلًا عمَّا ظفر به من حلاوة الإيمان في قلبه، وأمَّا غيره ممَّن لم يتمكَّن حبُّ الله ورسوله في قلوبهم فإنَّ سهام الفتن وشهواتِ الدنيا تؤثِّر تدريجيًّا في ذلك القلب وتشوِّه صفاءَه حتى يكون «مُرْبَادًّا» وهو بياضٌ يسيرٌ مع السواد، فإذا انساق العبد أكثرَ فأكثر وراء أهوائه اختفى أثرُ البياض الباقي واسودَّ القلب وأظلم"[(١)].

سادساً: المحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة، هذا خاص بالرجال، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ**»[(٢)].

سابعاً: الحرص على قيام الليل وقراءة القرآن ولو عشر آيات في قيامه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ**»[(٣)].

ثامناً: التقوى ورأسها المراقبة لله تعالى، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ

---

(١) موقع الشيخ محمد علي فركوس، https://cutt.us/mnTkZ

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه برقم (١١٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٦٤٠).

(٣) رواه أبو داود في سننه برقم (١٣٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٤٣٩).

يُسْرًا ﴾ [الطلاق:٤]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

فبالتقوى تنال رضا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وبها تنال محبته، ومن أحبه الله، رضي الله عنه وأدخله جنته، التقوى فيها فلاح وسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولن يذوق الإنسان الحياة الطيبة إلى بتقوى الله، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

الخاتمة

القلب: إذا راقب الربَّ، أمر الجوارح بالكف عن المعاصي.

والقلبُ: إذا أحبَّ القرآن، أمر اللسانَ فتلا كتابَ الله.

والقلبُ: إذا علم فضلَ البِرِّ والصِّلة، أمر الجوارح فبرَّت ووصَلت.

والقلبُ: إذا عرف فضل الصَّدَقة، أمر اليد فتصدَّقت.

والقلبُ: إذا عرف فضل الصيام، أمر الجسد فصام.

والقلبُ: إذا أحبَّ الذِّكر، أمر اللسان فتحرَّك بذكْرِ الله.

والقلبُ: إذا أحبَّ العلم، أمر الجسَدَ فتعلَّم.

أما إذا فسدَ القلبُ؛ فأحبَّ المعاصي والذنوب، والشهوات المحرَّمة والملذَّات، أمر الجوارح بها.

ينبغي للمؤمن أن يأخذ بكل ما يحيي قلبه وروحه، ويزيد في إيمانه؛ من العلم النافع، والعمل الصالح، ويبتعد عن كل ما يميت قلبه ويُمرضه، حتى يطيب عيشه في الدنيا والآخرة.

أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يَمُنَّ علينا بشفاء قلوبنا، وصحة أبداننا، وذهاب أسقامنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، واجعلنا من ورثة جنة النعيم، ولا تخزنا يوم يبعثون، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

